التفسير التحليلي

لقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [سورة المائدة: ٣]

د. تركي بن سعد بن فهيد الهويمل

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع في إنجازه.

التمهيد: وفيه بيان المقصود بالتفسير التحليلي.

المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها.

المبحث الثاني: زمن ومكان نزول الآية الكريمة.

المبحث الثالث: معاني الآية الكريمة.

المبحث الرابع: إعراب الآية الكريمة.

المبحث الخامس: المعنى العام للآية الكريمة.

المبحث السادس: أحكام الآية الكريمة.

المبحث السابع: اللطائف والهدايات المستنبطة من الآية الكريمة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، ومن أبرزها :

- بيان حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – ومعرفتهم وفهمهم لكتاب الله – عز وجل – ويدل على ذلك قول عمر – رضي الله عنه – لما سأله اليهودي عن هذه الآية الكريمة فأجابه – كما تقدم –، وفيه دليل على عظم وشرف الآية الكريمة، وكذلك فضل زمن ومكان نزول الآية الكريمة كما لا يخفى.

- أن الآية الكريمة إكمال لما تقدمها من النِّعم والمنن المذكورة في صدر السورة الكريمة.

- ثبوت زمن ومكان نزول الآية الكريمة في يوم جمعة وهو قائم ﷺ

بعرفة، كما جاء في ألفاظ ورواية الحديث الصحيح وفي الأحاديث الصحيحة غِنية عن غيرها من الأحاديث الضعيفة.

– اختلاف المفسرين في المراد بإكمال الدين، وإتمام النعمة من باب اختلاف التنوع وليس من باب اختلاف التضاد، ولا مانع من الجمع بين الأقوال الواردة في المعنى المراد، والعلم عند الله تعالى.

أسأل الله التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً... وبعد:

فإن علم تفسير القرآن الكريم من أشرف العلوم، وشرف العلم بشرف المعلوم، وقد بدأ تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه من وقت النبوة، وكان النبي ﷺ يفسر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٤]، وجاء من بعده الصحابة – رضوان الله عليهم – ففهموا القرآن الكريم ودرسوه، وعملوا بما جاء فيه، وكانوا لا يجاوزون عشر آيات حتى يعلموها ويعملوا بما فيها، فجمعوا بين العلم والعمل[١]، ثم جاء التابعون ومن بعدهم إلى وقتنا الحاضر، فاهتم علماء المسلمين بتفسير كتاب الله، واستنباط أحكامه وهداياته، ففتح الله لهم من أسرار هذا الكتاب الكريم علوماً جمَّة، وآفاقاً رحبة، ثم أصبح تفسير القرآن الكريم علماً مستقلاً، من سائر العلوم الشرعية له أصوله المعتبرة. وما زالت الأمة – ولله الحمد – تنهل من هذا المعين، وتفسّر الكتاب المبين.

وقد تأملت وتدبرت آية من كتاب الله – عز وجل – واستشرت أهل العلم في تفسيرها، فعزمت وعلى الله ربي توكلت، فكان هذا البحث بعنوان: التفسير التحليلي لقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢٦٩).

عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [سورة المائدة: ٣]، **وكان من أسباب اختيار هذا الموضوع** عدة أمور، من أهمها:

١ – ورود حديث عظيم في الصحيحين[1] بشأن هذه الآية الكريمة يدل على مكانة الآية وعظيم فضلها وشرف ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه، ويدل على حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – على فهم القرآن الكريم ومعرفة زمن ومكان نزوله – ولا غرو – فهم صحابة رسول الله ﷺ، وذلك في قول رجل من اليهود لعمر – رضي الله عنه – آية في كتابكم تقرؤها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [سورة المائدة: ٣]، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه... الحديث.

فهي آية عظيمة تفضل الله – عز وجل – بها على هذه الأمة في تعداد نعمه وفضله.

٢ – الوقوف مباشرة على تفسير هذه الآية الكريمة، ومعرفة معانيها ودلالاتها.

٣ – معرفة أقوال المفسرين في الآية الكريمة من جهة أحكامها وفوائدها.

٤ – الوقوف على اللطائف والهدايات المستنبطة من الآية الكريمة.

٥ – تطبيق منهج من مناهج التفسير (التفسير التحليلي)، وبيان طريقة المفسرين في ذلك.

(١) سيأتي تخريجه قريباً في زمن ومكان نزول الآية الكريمة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع في إنجازه.

التمهيد: وفيه بيان المقصود بالتفسير التحليلي.

المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها.

المبحث الثاني: زمن ومكان نزول الآية الكريمة.

المبحث الثالث: معاني الآية الكريمة.

المبحث الرابع: إعراب الآية الكريمة.

المبحث الخامس: المعنى العام للآية الكريمة.

المبحث السادس: أحكام الآية الكريمة.

المبحث السابع: اللطائف والهدايات المستنبطة من الآية الكريمة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس العامة للبحث.

منهج كتابة البحث:

أولاً: في منهج البحث سأسلك في كتابة البحث المنهج التحليلي في تفسير الآية الكريمة، وذلك بالرجوع إلى كتب المفسرين، وكتب علوم القرآن الكريم، وكتب معاني وإعراب القرآن الكريم، وأسباب النزول، وكتب الفقهاء والمحدثين التي اشتملت على مظان البحث لجمع المادة العلمية منها حول هذه الآية الكريمة مع إبراز ما فيها من اللطائف والهدايات القرآنية، والأسرار البلاغية.

ثانياً: منهج الكتابة:

١ – كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزوها إلى سورها وذكر أرقام الآيات.

٢ – تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بذلك، وإن كان في غيرهما أخرِّجه من مظانّه مع الاجتهاد في ذكر الحكم على الأحاديث من خلال كتب أهل الفن.

٣ – توثيق النصوص، والمسائل العلمية من مصادرها الأصيلة.

٤ – توضيح الكلمات والألفاظ الغريبة الواردة في البحث.

٥ – التعريف بالأماكن والبلدان.

٦ – ترجمة الأعلام – ترجمة موجزة.

٧ – وضع الفهارس العامة للبحث.

أسأل الله التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

حدود البحث:

البحث في تفسير جزء من الآية رقم (٣) من سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، وقد فسَّرت هذا الجزء من الآية الكريمة تفسيراً تحليلياً دون بقية الآية الكريمة، وهذا الجزء هو المراد في جميع مباحث البحث دون تمام الآية، وإن كان المراد تمام الآية فينص على ذلك حسب ما يقتضيه السياق، والله المستعان.

التمهيد

المقصود بالتفسير التحليلي:

التفسير التحليلي هو أن يقصد المفسر إلى الآيات القرآنية – حسب ترتيبها في التلاوة وكما هي مدونة في المصحف الشريف – ثم يفسرها بتحليل وتفصيل، كاشفاً عن كل ما يريد منها من معان وأوجه، فيحلل اللفظ من جهة اللغة العربية، وأوجه استعمالاته، وما يراد منها مما يناسب المقام، ويبين ما في الآية من الفصاحة والبيان وأوجه الإعجاز، ومناسبة الآية للآية، والسورة للسورة، وبيان سبب النزول – إن وجد – ثم بيان المعنى ومقاصد الشريعة من وراء هذا النص القرآني، وما يستخلص من النصوص من فوائد وعبر وأحكام، مستعيناً على ذلك بما ورد من نص قرآني، أو سنة نبوية، أو قول مأثور عن الصحابة أو التابعين، واضعاً ذلك في أسلوب يناسب المخاطبين من متخصصين أو غيرهم، ويدخل تحت التفسير التحليلي ما هو معروف بالتفسير بالمأثور أو بالرأي(١).

وعليه فالتفسير التحليلي لا يستغني عنه الباحث في التفسير الإجمالي أو الموضوعي أو المقارن؛ وذلك لأن التفسير التحليلي ينصب على معرفة دلالة الكلمة اللغوية، ودلالتها الشرعية، والتعرف على الرابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في السورة. وكذلك التعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية، ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم(٢).

---

(١) ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي، للدكتور: زاهر الألمعي (ص ١٨)، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور: مصطفى مسلم (ص ٥٢)، بتصرف يسير.

فيتضح – جلياً – أن مجال البحث في هذه التفاسير هو بيان كـلام الله تعالى، والكشف عن مراده سبحانه وتعالى من الآيات القرآنية علـى قدر الطاقة البشرية.

وفي معجم مصطلحات علوم القرآن:

التفسير التحليلي: هو تفسير القرآن الكريم آية آية حسب الـنظم القرآني، والترتيب المصحفي، من خلال بيان المعاني اللغويـة، والوجـوه الإعرابية، والبلاغية، وذكر القراءات القرآنية، واستنباط الأحكام الشرعية، والهدايات القرآنية، وغير ذلك.

ويسمى التفسير التجزيئي؛ لأنه يتناول آيات القرآن الكريم جـزءاً جزءاً.

ويسمى كذلك: التفسير الترتيبي؛ لأنه يلتزم بترتيب الآيات والسور كما في المصحف.

وعلى هذا المنهج سارت أكثر كتب التفسير على اختلاف بينها من حيث الاختصار والبسط، وهو أقدم أساليب التفسير[(١)].

قلت: وخلاصة القول من خلال ما تقدم في بيان المقصود بالتفسير التحليلي وتعريفه هو: تفسير القرآن الكريم حسب ترتيـب المصـحف تفسيراً بتحليل وتفصيل من خلال بيان المعاني اللغويـة ومـا يتبعهـا، والقراءات القرآنية، والأحكام الشرعية، والهدايات القرآنية وغيرها مـن الوجوه التي تساعد على إجلاء المعنى وتوضيح المراد.

* * *

(١) ينظر: معجم مصطلحات علوم القرآن، للدكتور: محمد الشايع (ص ٦٤).

المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها

هذه الآية الكريمة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ هي إحدى آيات سورة المائدة، وهي سورة مدنية بالإجماع(١).

ومن جملة مقاصد هذه السورة العظيمة الأمر بوفاء العهود، وبيان ما أحله الله تعالى من البهائم، وذكر المحرمات، وبيان إكمال الدين... فهذه الآية الكريمة من باب إكمال ما تقدمها تعداداً لمنَّة أخرى من الله – جل وعلا – وهي بيان إكمال الدين، وتمام النعمة، والرضى بالإسلام ديناً.

فمناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها قوية ومرتبطة جداً في تعداد نعم الله – عز وجل – وإتماماً لما أمر به – سبحانه وتعالى – في صدر السورة الكريمة.

وفي نظم الدرر عند هذه الآية ما نصه:

«ولما تمت هذه الجمل الاعتراضية التي صار ما بينها وبين ما قبلها وما بعدها بأحكام الرصف وإتقان الربط من الامتزاج أشد ما بين الروح

---

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢٦٧/٢)، وقال: «قال ابن عباس، والضحاك: هي مدينة، وقال مقاتل: نزلت نهاراً وكلها مدنية، وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ قال: وقيل: فيها من المكي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ والصحيح أن قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى مكة». وينظر للزيادة: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/٧، وقال: «وهي مدنية بإجماع». وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٥، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ١٧٨/١ ونقل الإجماع، وينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٦٩/٦ وقال: «وهي مدنية باتفاق».

والجسد، المشيرة إلى أن هذه المحرمات هي التي تحقق بها أهل الكفر كمال المخالفة، فأيسوا معها من المواصلة والمؤالفة؛ رجع إلى تتمات لتلك المحظورات...» [1].

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٣٩٤/٢، وينظر للزيادة: البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي (ص ٢٠٠)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ١٧٨/١، ١٧٩، وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (ص٨٠)، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٢/٦.

المبحث الثاني: زمن ومكان نزول الآية الكريمة

اختلف العلماء والمفسرون – رحمهم الله – في زمن ومكان نزول هذه الآية الكريمة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[سورة المائدة: ٣] على عدة أقوال(١):

١ – قيل: إنها نزلت يوم جمعة بعرفة في حجة الوداع.

وفي رواية: «وهو واقف على الجبل يوم عرفة في يوم جمعة». وفي رواية: «عشية عرفة وهو في الموقف»، قاله ابن عباس – رضي الله عنهما – وغيره.

٢ – وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية يوم الاثنين، وهو مروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما –.

٣ – وقال آخرون: نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره في حجة الوداع، وهو مروي عن الربيع بن أنس.

٤ – وقال آخرون: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس، وهو مروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما –.

دراسة الأقوال:

استدل القائلون بالقول الأول أن الآية الكريمة نزلت يوم جمعة بعرفة

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٨٦/٨، والبسيط للواحدي ٢٥٤/٧، والنكت والعيون للماوردي ١٤/٥، وزاد المسير لابن الجوزي ٢٨٧/٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٢/٧، وكتاب التسهيل لابن جزي الكلبي ١٦٨/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٨/٥، ٤٩، وفتح القدير ١٦/٢، والدر المنثور للسيوطي ١٨١/٥، ومحاسن التأويل للقاسمي ٣٣/٣، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٢/٦، وينظر للزيادة: أسباب النزول للواحدي (ص ١٩٠)، والاستيعاب في بيان الأسباب (موسوعة علمية حديثية) ٩٠٨/٢.

في حجة الوداع بعدة روايات في الصحيحين وغيرها منها:

ما أخرجه البخاري[١] في صحيحه عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة: ٣]. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

وفي رواية[٢] – عند البخاري – أيضاً: «فقال عمر: إنِّي لأعلم أي مكان أُنزلت، أنزلت ورسول الله ﷺ واقف بعرفة».

وفي رواية[٣] – أيضاً – «فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت، يوم عرفة وإنَّا والله بعرفة...».

وفي رواية[٤]: «فقال عمر: إني لأعلم أيَّ يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم جمعة...».

واستدلوا – أيضاً – بما أخرجه مسلم[٥] في صحيحه عن طارق بن شهاب «أن اليهود قالوا لعمر: إنكم تقرأون آية، لو أنزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأي يوم أنزلت،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث (٤٥).

(٢) رقم الحديث (٤٤٠٧).

(٣) رقم الحديث (٤٦٠٦).

(٤) رقم الحديث (٧٢٦٨).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب التفسير، رقم الحديث (٣٠١٧).

وأين رسول الله حيث أنزلت، أنزلت بعرفة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة». يعني ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

وفي رواية عند مسلم – أيضاً –: «فقال عمر: نعلم اليوم الذي أنزلت فيه، والساعة، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت، نزلت ليلة جَمْعٍ، ونحن مع رسول الله ﷺ بعرفات».

وفي رواية: «نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم جمعة»(١).

واستدلوا – أيضاً – بما أخرجه الإمام أحمد في مسنده(٢) قال: «جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً.

قال: وأي آية؟ قال: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ، نزلت عشية عرفة في يوم جمعة».

فهذه جملة من الروايات الثابتة الصحيحة في زمن ومكان نزول هذه الآية الكريمة في الصحيحين وغيرهما، ويكتفى بذلك دون بقية كتب ودواوين السنة المطهرة، وملخص الروايات وتعدد ألفاظها ورواياتها يدل على زمن ومكان نزول الآية الكريمة – كما تقدم – والعلم عند الله تعالى.

(١) رقم الحديث (٣٠١٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٢٨) (١٨٨).

واستدل القائلون بأن الآية الكريمة نزلت يوم الاثنين بما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وأنزلت سورة «المائدة"يوم الاثنين: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، ورفع الركن يوم الاثنين[1].

قال ابن كثير[2] (ت ٧٧٤هـ) في تفسيره بعد ذكره لهذا الأثر:

«فأما ما رواه ابن جرير، وابن مردويه، والطبراني من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش بن عبدالله الصنعاني، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وذكره بلفظ متقارب ثم قال: «فإنه أثر غريب، وإسناده ضعيف»[3].

واستدل القائلون بأن الآية الكريمة نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره في حجة الوداع، بما أخرجه الطبري[4] (ت٣١٠هـ) في تفسيره بسنده عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة «المائدة"على رسول الله ﷺ في المسير في حجة الوداع وهو راكب راحلته، فبركت به راحلته من

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٩٠/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢/٥، والدر المنثور للسيوطي ١٨٦/٥.

(٢) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن ضوء، الحافظ عماد الدين، كان من العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، حفظ المتون، وبرع في معرفة العلل والأسانيد والرجال والتاريخ، له مصنفات كثيرة، توفي سنة (٧٧٤هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١١٠/١، وشذرات الذهب ٣٩٧/٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥٢/٥.

(٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام الحافظ، من أئمة التفسير، له مصنفات عديدة تدل على سعة علمه، توفي سنة (٣١٠هـ)، ينظر: تاريخ بغداد ١٦٢/٢، وفيات الأعيان ١٩١/٤، وتذكرة الحفاظ ٧١٠/٢.

ثقلها[١].

وقد رد الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) هذا القول وذكر عدم صحته[٢].

واستدل القائلون بأنه ليس ذلك اليوم بيوم معلوم عند الناس بما أخرجه الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيره قال: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يقول: ليس بيوم معلوم يعلمه الناس[٣].

قلت: وقد تقدم قول الحافظ ابن كثير (ت٧٤٤هـ) عند هذا القول، والذي قبله بما يغني عن إعادته[٤].

الترجيح:

من خلال ما تقدم ذكره، وبعد عرض أقوال العلماء والمفسرين يظهر

---

(١) ينظر: جامع البيان ٨/٩٠، ٩١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥/٥٣، ٥٤، وقال بعد ذكره لرواية ابن جرير، «قال ابن جرير: وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس، ثم روى من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يقول: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس، قال: وقد قيل: إنها نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره إلى حجة الوداع. ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس. قلت: - يعني ابن كثير – وقد روى ابن مردويه... عن أبي سعيد الخدري، أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خُم... إلخ، ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. يعني: مرجعه عليه السلام من حجة الوداع. ولا يصح هذا ولا هذا... إلخ، وينظر للزيادة: الدر المنثور للسيوطي ٥/١٨٦، وقال في الروايتين: «بسند ضعيف».

(٣) ينظر: جامع البيان ٨/٩١، والدر المنثور للسيوطي ٦/١٨٦، ١٨٧.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥/٥٣، وينظر للزيادة: الاستيعاب في بيان الأسباب ٢/٨ – ١٠.

جلياً أن الراجح – والعلم عند الله – في زمن ومكان نزول قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [سورة المائدة: ٣].

أنها نزلت يوم عرفة، وكان يوم جمعة، فالزمان يوم عرفة ويوم جمعة في حجة الوداع، والمكان في عرفة وهو قائم أو واقف في الموقف عشية عرفة.

قال ابن جرير (ت ٣١٠هـ) بعد ذكره لهذه الأقوال:

«وأولى الأقوال في وقت نزول هذه الآية القول الذي روي عن عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – أنها نزلت يوم عرفة، يوم جمعة؛ لصحة سنده ووَهْي أسانيد غيره»[1].

ويقول الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) بعد ذكره لهذه الأقوال، ونقل أقوال العلماء والمفسرين في زمن ومكان نزول هذه الآية الكريمة:

«ولا يصح هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية، أنها أنزلت يوم عرفة، وكان يوم جمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن عبدالله بن عباس، وسمرة بن جندب – رضي الله عنهم – وأرسله الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء. واختاره ابن جرير الطبري – رحمه الله –»[2].

(١) ينظر: جامع البيان ٩١/٨.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥٤/٥، وينظر للزيادة: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٣/٧ حيث قال بعد ذكر الأقوال المذكورة: «والقول الأول أصح، أنها نزلت في يوم جمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة...».

المبحث الثالث: معاني الآية الكريمة

المقصود في هذا المبحث بيان معاني المفردات القرآنية الواردة في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [سورة المائدة: ٣] على سبيل الإيجاز والاختصار.

قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾.

﴿ٱلۡيَوۡمَ ﴾ يجوز أن يراد به اليوم الحاضر، وهو يوم نزول الآية الكريمة، ويجوز أن يراد به يوم معين جدير بالامتنان بزمانه، ويجوز أن يجعل ﴿ٱلۡيَوۡمَ ﴾ بمعنى الآن، أي زمان الحال، الصادق بطائفة من الزمان رسخ اليأس في خلالها، في قلوب أهل الشرك بعد أن خامر في نفوسهم التردد في ذلك، فإن العرب يطلقون (اليوم) على زمن الحال، و(الأمس) على الماضي، و(الغد) على المستقبل. قال زهير[(١)]:

وأعلمُ عِلمَ اليومِ والأمسِ قبَله   ولكنَّني عن علم ما في غد عَمِي[(٢)]

يريد باليوم زمان الحال، وبالأمس ما مضى، وبالغد ما يستقبل[(٣)].

(١) زهير بن أبي سلمى، شاعر جاهلي، ولد في بلاد مزينة، حكيم الشعراء في الجاهلية، من أصحاب المعلقات المشهورة، ينظر: طبقات الشعراء للجمحي ٣٧/١، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٧٧).

(٢) البيت في ديوانه (ص ٤٩)، وروايته: وأعلم ما في اليوم، والأمس، قبله   ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي. ومعنى البيت: ما مرَّ بي من اليوم والأمس فأنا عالم به، لأني قد رأيته، ولكنني عَمٍ عن علم ما في غدٍ، أنا جاهل بما في غدٍ.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٠/٦، ١٠١، وينظر للزيادة: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٣/٧، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧٢٦/٣، وروح المعاني للألوسي ١٠،٩/٤.

(والدين) ما كلَّف الله به الأمة من مجموع العقائد، والأعمال، والشرائع.

قال الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره: «اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونَهْيي، وحلالي وحرامي... قالوا: وكان ذلك في يوم عرفة، عام حج النبي ﷺ حجة الوداع...»[1].

وذلك بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، وأفردهم بالبلد الحرام، وإجلائه عنه المشركين، حتى حجَّه المسلمون دونهم لا يخالطهم مشرك[2].

قوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ إتمام النعمة هو خلوصها مما يخالطها من الحرج والتعب.

قال القرطبي[3] (ت٦٧١هـ) في تفسيره: « ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أي: بإكمال الشرائع والأحكام، وإظهار دين الإسلام كما وعدتكم..."[4].

(١) ينظر: جامع البيان ٨٠/٨.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٨٣/٨، ٨٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٢/٧، ٢٩٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٦/٦، وتفسير الجلالين (ص ١٠٧)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ١٨٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٧/٦، ١٠٨.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري القرطبي، مصنف التفسير المشهور، إمام متفنن متبحر في العلم، توفي سنة (٦٧١هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٧٩)، وطبقات المفسرين للداودي ٦٥/٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٣/٧، ٢٩٤، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٧/٦، =

قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

الرضى بالشيء: الركون إليه وعدم النفرة منه، ويقابله السخط.

و ﴿ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ أي: الاستسلام لأمري، والانقياد لطاعتي، على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه.

﴿دِينًا﴾ يعني بذلك: طاعة منكم لي(١).

وسيأتي المزيد من البيان في المعنى العام للآية الكريمة (المعنى الإجمالي)، وذكر أقوال أهل العلم والتفسير في المبحث الخامس – إن شاءالله – والله المستعان.

=

وروح المعاني للألوسي ١٠/٤.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٨٤/٨، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦/٣، وفتح القدير للشوكاني ١٥/٢، ١٦، ومحاسن التأويل للقاسمي ٣٤/٣، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٧/٦.

المبحث الرابع: إعراب الآية الكريمة

قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بأكملت منصوب على الظرفية بالفتحة.

﴿أَكۡمَلۡتُ﴾: فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بضمير المتكلم.

والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل.

﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلق بأكملت. والميم علامة جمع الذكور.

﴿دِينَكُمۡ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة. والكاف: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور.

قوله تعالى: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾.

هاتان الجملتان معطوفتان بواوَي العطف على الجملة: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ﴾ وتعربان إعرابها.

﴿نِعۡمَتِي﴾: مفعول به منصوب بالفتحة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. (والياء): ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

﴿ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة.

﴿دِينٗا﴾: تمييز منصوب بالفتحة المنونة[1].

---

(١) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبدالواحد صالح ١١/٣. وينظر للزيادة في إعراب الآية الكريمة: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥٣/١، ومعاني القرآن للأخفش ٢٧٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٤٨/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٧/٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٢٦/٣، ٤٢٧.

وعند العكبري[١] (ت٦١٦هـ) في هذه الآية:

﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: ظرف لـ ﴿أَكۡمَلۡتُ﴾؛ و﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ يتعلق بأتممتُ، ولا يتعلق بـ ﴿نِعۡمَتِي﴾؛ فإن شئت جعلته على التبيين؛ أي: أتممت؛ أعني عليكم.

﴿وَرَضِيتُ﴾: يتعدى إلى مفعول واحد؛ وهو هنا ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾، و﴿دِينٗا﴾ حال[٢].

وفي الفريد في إعراب القرآن المجيد:

«وقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾:

﴿دِينٗا﴾ انتصب على أحد أربعة أوجه:

إما على أنه مفعول ثان على تضمين رضيت بمعنى اخترت؛ لأنه إذا رضيه فقد اختاره، وإذا اختاره فقد رضيه، أو على المدح وإن كان نكرة كقوله:

وشُعُثاً مراضِيعَ مثلَ السَّعَالي[٣].

---

(١) هو أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، ولد ببغداد، وقرأ على ابن الخشاب، وابن عساكر، له مصنفات كثيرة، توفي ببغداد سنة (٦١٦هـ). ينظر: وفيات الأعيان ١٠٠/٣، وإنباه الرواة ١١٦/٢، وبغية الوعاة ٣٨/٢، شذرات الذهب ٦٧/٥.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ٤١٨/١، ٤١٩، وينظر للزيادة، الدر المصون للسمين الحلبي ١٩٩/٤ حيث قال: (وعليكم) متعلق بـ «أتممت»، ولا يجوز تعلقه بـ «نعمتي» وإن كان فعلها يتعدى بـ «على» نحو: «أنعم الله عليه وأنعمت عليه» لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله، إلا أن ينوب منابه.
قال أبو البقاء: «فإن جعلته على التبيين، أي: أتممت أعني عليكم جازَ» ولا حاجة إلى ما ادَّعاه».

(٣) صدر البيت: ويأوي إلى نسوةٍ عُطَّلٍ وشُعثاً مراضيعَ مثل السَّعالَي.

=

فنصب (شعثاً) على المدح وهو نكرة كما ترى، أو على البيان، أو على الحال من ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمَ ﴾»[١].

وفي الدر المصون إعراب الآية ما نصه:

«قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ في «رضي» وجهان، أحدهما: أنه متعدٍّ لواحد وهو الإسلام، و«ديناً» على هذا حال.

وقيل: هو مُضَمَّن معنى صيَّر وجَعَل، فيتعدى لاثنين أولهما «الإسلام»، والثاني: «ديناً». و«لكم"يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بـ «رضي»، والثاني: أنه متعلق بمحذوف لأنه حال من الإسلام، ولكنه قُدِّم عليه»[٢].

=

والبيت من المتقارب. وقائله: أمية بن أبي عائذ. والعطَّل: اللائي لا حلي عليهن. والشعث: المتغيرات من الهزال وسوء الحال. السعالي: أنثى الشياطين. يصف رجلاً يصيد ويرجع إلى زوجته وبناته عاريات من الحلي والثياب. متغيرات الوجوه من الجوع. والمعنى: أنه يرجع إليهن وهنَّ كريهات المنظر مثل الأغوال، وهي صورة قبيحة عند العرب.

والشاهد – البيت – قد تقدم أعلاه. ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني ١/٥٥٣، وينظر للزيادة: الكتاب ١/١٩٩، والخزانة ١/٤١٧، ولسان العرب ٩/٤٨٦ مادة (رضع)، وديوان الهذليين ٢/١٨٤.

(١) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني ٢/١٣.

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٤/١٩٩.

المبحث الخامس: المعنى العام للآية الكريمة

المقصود في هذا المبحث بيان المعنى الإجمالي للآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة: ٣]، والوقوف على معانيها ودلالاتها من خلال النظر فيها، وتتبع أقوال المفسرين في المراد بالآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾.

قد تقدم بيان المراد باليوم في الآية الكريمة في الحديث عن (زمن ومكان نزول الآية الكريمة)، وكذلك الحديث عن مناسبة الآية الكريمة لما قبلها(١)، بما يغني عن إعادته هنا، خشية التطويل والتكرار الذي لا حاجة له.

واختلف أهل التأويل(٢) في المراد بإكمال الدين في الآية الكريمة على قولين:

أحدهما: يعني أكملت فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي، ولم يترل على النبي ﷺ بعدها شيء من الفرائض من تحليل أو تحريم، وهذا قول ابن عباس (ت٦٨هـ)، والسدي (ت١٢٨هـ).

والثاني: يعني اليوم أكملت لكم حجتكم، أن تحجوا البيت الحرام ولا يحج معكم مشرك، وهذا قول قتادة (ت١١٧هـ)، وسعيد بن جبير

(١) ينظر: المبحث الأول، والمبحث الثاني في هذا البحث.

(٢) ينظر للزيادة: تفسير عبدالرزاق ١/١٧٨، وجامع البيان للطبري ٨/٨١، ٨٢، والبسيط للواحدي ٧/٢٥٤، والمحرر الوجيز لابن عطية ٢/١٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٤٦، والفتوحات الإلهية للجمل ١/٤٦٢، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣/٦، ومحاسن التأويل للقاسمي ٣/٣٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٦/١٠٢.

(ت٩٥هـ)[1].

وبعد النظر والتأمل في أقوال المفسرين فلا مانع من الجمع بين القولين في المراد بإكمال الدين؛ وعليه فالمعنى المراد – والعلم عند الله – أن الله – عز وجل – أكمل لهم الدين يوم أنزل هذه الآية على نبيه ﷺ، بإفرادهم بالبلد الحرام، وجلاء المشركين عنه فلم يخالطهم المشركون.

قال الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيره عند هذه الآية الكريمة:

«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله – عز وجل – أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين به أنه أكمل لهم يوم أنزل هذه الآية على نبيه دينهم؛ بإفرادهم بالبلد الحرام وإجلائه عنه المشركين، حتى حجه المسلمون دونهم لا يخالطهم مشرك»[2].

قوله تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

قال ابن الجوزي[3] (ت٥٩٧هـ) في تفسيره عند هذه الآية الكريمة:

«وفي إتمام النعمة ثلاثة أقوال:

أحدها: منع المشركين من الحج معهم، قاله ابن عباس (ت٦٨هـ)، وابن جبير (ت٩٥هـ)، وقتادة (ت١١٧هـ).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٨٢/٨، والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للرازي ٢٨٧/١١، والنكت والعيون للماوردي ١٢/٢، ١٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٢٨٧/٢، ٢٨٨، والدر المنثور للسيوطي ١٨٢/٥.

(٢) ينظر: جامع البيان ٨٢/٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٣/٧، وقال الجمهور: المراد معظم الفرائض والتحليل والتحريم.

(٣) هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي الحنبلي، الحافظ المفسر، الواعظ الفقيه، صاحب التصانيف، توفي سنة (٥٩٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٥/٢١، والذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٩/١.

الثاني: الهداية إلى الإيمان، قاله ابن زيد (ت١٨٢هـ).

الثالث: الإظهار على العدو، قاله السدي (ت١٢٨هـ)"[١].

وبعد النظر والتأمل في أقوال المفسرين فلا مانع من الجمع بين هذه الأقوال، فقد أتم الله – عز وجل – النعمة بها على المؤمنين في منع المشركين من الحج معهم، وأظهرهم على عدوهم، وهداهم إلى الإيمان، وهذا من اختلاف التنوع بين المفسرين.

قال ابن جرير (٣١٠هـ) في تفسيره:

«يعني بذلك جل ثناؤه: وأتممت نعمتي أيها المؤمنون بإظهاركم على عدوِّي وعدوكم من المشركين. ونفيي إياهم عن بلادكم، وقطعي طمعهم من رجوعكم وعودكم إلى ما كنتم عليه من الشرك»[٢].

قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾.

أي: ورضيت لكم الاستسلام لأمري، والانقياد لطاعتي، على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه طاعة منكم لي[٣].

قال القرطبي (٦٧١هـ) في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾ أي: أعلمتكم برضاي به لكم ديناً، فإنه تعالى لم يزل راضياً بالإسلام لنا ديناً...

وقيل: المعنى: ورضيت عنكم إذا انقدتم لي بالدين الذي شرعته لكم.

ويحتمل أن يريد: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾ أي: رضيت

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٢/٢٨٨.

(٢) ينظر: جامع البيان ٨/٨٣.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٨/٨٤، والبسيط للواحدي ٧/٢٥٥، ومعالم التنزيل للبغوي ٣/١٤، والكشاف للزمخشري ١/٦٠٥.

إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً بكماله، إلى آخر الأبد، لا أنسخ منه شيئاً. والله أعلم.

و«﴿ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾ في هذه الآية هو الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]، وهو الذي يفسَّر في سؤال جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام، وهو الإيمان والأعمال والشُّعب»[١].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/٧، ٢٩٦، وينظر للزيادة: كتاب التسهيل لابن جزي الكلبي ١٦٨/١، وفتح القدير للشوكاني ١٦/٢، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص ١٨٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٣/٦، ١٠٤.

المبحث السادس: أحكام الآية الكريمة

في الآية الكريمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة: ٣] مسألتان، يمكن تلخيصهما، وذكر صورهما، والإجابة عنهما في الآتي ذكره:

المسألة الأولى:

الفرائض والأحكام، هل كانت أكملت ذلك اليوم، أم لا؟

والجواب: فأمَّا الفرائض والأحكام فإنه قد اختلف فيهما؛ هل كانت أكملت ذلك اليوم أم لا؟

روي عن ابن عباس (ت٦٨هـ) – رضي الله عنهما – والسدي (١٢٨هـ)، أن الدِّين عبارة عن الشرائع التي شرع وفتح لنا، فإنها نزلت نجوماً، وآخر ما نزل منها هذه الآية، و لم ينزل بعدها حكم.

وروي عن البراء بن عازب (ت٧٢هـ) – رضي الله عنه – أن آخر آية نزلت من القرآن الكريم: (﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [سورة النساء: ١٧٦])[1].

قال الطبري في تفسيره: «ولا يدفع ذو علم أن الوحي لم ينقطع عن رسول الله ﷺ إلى أن قبض، بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعاً. فإذا كان ذلك كذلك، وكان قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [سورة النساء: ١٧٦] آخرها نزولاً، وكان ذلك من الأحكام والفرائض، كان معلوماً أن معنى قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ على

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٨٢/٨، ٨٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٣/٧.

خلاف الوجه الذي تأوَّله مَن تأوَّله أنه عُني به كمال العبادات والأحكام والفرائض.

فإن قال قائل: فما جعل قول من قال: قد نزل بعد ذلك فرض، أولى من قول مَن قال: لم يترل؟

قيل: لأن الذي قال: لم يترل. مُخْبِرٌ أنه لا يعلم نزول فرض، والنفي لا يكون شهادة، والشهادة قول من قال: نزل. وغير جائز رفع خبر الصادق فيما أمكن أن يكون فيه صادقاً»(١).

قال القرطبي (ت٦٧١هـ) عند هذه المسألة:

و ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ قد يعبَّر بجزء منه عن جميعه، وكذلك عن الشهر ببعضه؛ تقول: فعلنا في شهر كذا وكذا، وفي سنة كذا وكذا، ومعلوم أنك لم تستوعب الشهر ولا السنة؛ وذلك مستعمل في لسان العرب والعجم. والدِّين عبارة عن الشرائع التي شرع وفتح لنا؛ فإنها نزلت نجوماً، وآخر ما نزل منها هذه الآية، ولم يترل بعدها حُكْم، قاله ابن عباس (ت٦٨هـ)، والسدي (ت١٢٨هـ).

وقال الجمهور: المراد معظم الفرائض والتحليل والتحريم، قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير، ونزلت آية الربا، ونزلت آية الكلالة، إلى غير ذلك. وإنما كمل معظم الدين وأمر الحج، إذ لم يطف معهم في هذه السنة مشرك، ولا طاف بالبيت عريان، ووقف الناس كلهم بعرفة(٢).

(١) ينظر: جامع البيان ٨٢/٨، ٨٣، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٣/٧، بتصرف يسير، وينظر للزيادة: أحكام القرآن للجصاص ٣٩٢/٢، والمحرر الوجيز لابن عطية ١٥٤/٢، وأحكام القرآن لابن الفرس ٣٣٢/٢، والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للرازي ٢٨٧/١١، ومحاسن التأويل =

وقد تبيَّن من خلال هذا العرض وأقوال المفسرين وجه المسألة، وأقوال العلماء فيها، وحكمها، وثمرتها، والحمد لله رب العالمين.

المسألة الثانية:

هل يدل قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ على أن الدِّين كان غير كامل في وقت من الأوقات؟

وذلك يوجب أن يكون جميع من مات من المهاجرين والأنصار، والذين شهدوا بدراً والحديبية، وبايعوا رسول الله ﷺ البيعتين جميعاً، وبذلوا لله مع عظيم ما حلَّ بهم من أنواع المحن؛ ماتوا على دين ناقص، وأن رسول الله ﷺ في ذلك كان يدعو إلى دين ناقص، ومعلوم أن النقص عيب، ودين الله قيم، كما قال تعالى: ﴿دِينٗا قِيَمٗا﴾ [سورة الأنعام: ١٦١].

فظهر من خلال ما تقدم ملخص المسألة وصورتها، والأثر المترتب على القول بها، وتبيَّن وجه الإشكال ولزم الإجابة عليه -والعلم عند الله-.

الجواب:

يقال لمن قال بهذا القول: لِمَ قلت: إن كل نقص فهو عيب؟ وما دليلك عليه؟ ثم يقال له: أرأيت نقصان الشهر، هل يكون عَيباً؟ ونقصان صلاة المسافر؛ أهو عيب لها؟ ونقصان العمر الذي أراده الله بقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ [سورة فاطر: ١١]، أهو عيب له؟ ونقصان أيام الحيض عن المعهود، ونقصان أيام الحمل، ونقصان المال

=

للقاسمي ٣٢/٣، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٤/٦، وتفسير القرآن الكريم (سورة المائدة) للشيخ محمد العثيمين ٤٣/١، ٤٤.

بسرقة أو حريق أو غرق؛ إذا لم يفتقر صاحبه، فما أنكرت أنَّ نقصان أجزاء الدين في الشرع قبل أن تلحق به الأجزاء الباقية في علم الله تعالى هذه ليست بشين ولا عيب. وما أنكرت أن معنى قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يخرَّج على وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد: بلغتُه أقصى الحد الذي كان له عندي فيما قضيته وقدَّرته، وذلك لا يوجب أن يكون ما قبل ذلك ناقصاً نقصان عيب، لكنه يوصف بنقصان مقيَّد فيقال: إنه كان ناقصاً عما كان عند الله تعالى أنه ملحقه به وضامُّه إليه، كالرجل يُبلغه الله مئة سنة فيقال: أكمل الله عمره؛ ولا يجب عن ذلك أن يكون عُمره حين كان ابن ستين كان ناقصاً نقص قصور وخلل، فإن النبي ﷺ يقول: «مَنْ عَمَّرَهُ الله ستين سنة؛ فقد أعذر إليه في العُمُر»(١). ولكنه يجوز أن يوصف بنقصان مقيَّد فيقال: كان ناقصاً عما كان عند الله تعالى أنه مُبلغه إياه ومعمِّره إليه. وقد بلغ الله بالظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، فلو قيل عند ذلك: أكملها؛ لكان الكلام صحيحاً، ولا يجب عن ذلك أنها كانت – حين كانت ركعتين – ناقصة نقص قصور وخلل، ولو قيل: كانت ناقصة عمَّا عند الله أنه ضَامُّه إليها وزائدُه عليها؛ لكان ذلك صحيحاً، فهكذا هذا في شرائع الإسلام وما كان شُرع منها شيئاً فشيئاً إلى أن أنهى الله الدين منتهاه الذي كان له عنده. والله أعلم.

والوجه الآخر: أنه أراد بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أنه وفَّقهم للحج الذي لم يكن بقيَ عليهم من أركان الدين غيرُه، فحجُّوا،

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، رقم (٦٤١٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فاستجمع لهم الدين؛ أداءً لأركانه، وقياماً بفرائضه، فإنه يقول عليه الصلاة والسلام: «بُني الإسلام على خمس"الحديث[1]. وقد كانوا تشهَّدوا وصلوا وزكوا وصاموا وجاهدوا واعتمروا، ولم يكونوا حجوا؛ فلما حجوا ذلك اليوم مع النبي ﷺ أنزل الله تعالى وهم بالموقف عشية عرفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ فإنما أراد: أكمل وَضْعَه لهم، وفي ذلك دلالة على أن الطاعات كلها دين وإيمان وإسلام[2].

وقد تعرض الرازي[3] (ت٦٠٦هـ) في تفسيره لهذه المسألة، وعرض الإشكال، وذكر الإجابة عنه، وخلاصة – ما ذكره – في هذا الشأن أنه قال: في الآية سؤال، وهو أن قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ يقتضي أن الدين كان ناقصاً قبل ذلك، وذلك يوجب أن الدين الذي كان ﷺ مواظباً عليه أكثر عمره كان ناقصاً، وأنه إنما وجد الدين الكامل في آخر عمره مدة قليلة.

وقد أجاب عن هذه المسألة من ثلاثة أوجه ملخصها وبيانها في الآتي:

واعلم أن المفسرين لأجل الاحتراز عن هذا الإشكال ذكروا وجوهاً:

الأول: أن المراد من قوله: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ هو إزالة الخوف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس، رقم (٨٩)، من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما –، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، رقم (٦)، من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما –.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٤/٧، ٢٩٥، بتصرف يسير.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي الشافعي، الفقيه المتكلم، يلقب بفخر الدين، ويعرف – أيضاً – بابن الخطيب، اشتهر بعلم الكلام، وقد ندم في آخر عمره على دخوله فيه، توفي سنة (٦٠٦هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٢٤٨/٤، وسير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١، وطبقات المفسرين للداودي ٢١٥/١.

عنهم وإظهار القدرة لهم على أعدائهم، وهذا كما يقول الملك عندما يستولي على عدوه ويقهره قهراً كلياً: اليوم كمل ملكنا، وهذا الجواب ضعيف؛ لأن ملك ذلك الملك كان قبل قهر العدو ناقصاً.

الثاني: أن المراد: إني أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكاليفكم من تعلم الحلال والحرام، وهذا أيضاً ضعيف؛ لأنه لو لم يكمل لهم قبل هذا اليوم ما كانوا محتاجين إليه من الشرائع كان ذلك تأخيراً للبيان عن وقت الحاجة، وأنه لا يجوز.

الثالث: أن الدين ما كان ناقصاً ألبتة، بل كان أبداً كاملاً، يعني كانت الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت، إلا أنه تعالى كان عالماً في أول وقت المبعث بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه، فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم، وأما في آخر زمان المبعث فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة، فالشرع أبداً كان كاملاً، إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص، والثاني كمال إلى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[1].

وخلاصة القول في الجواب على من قال بأن قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ يدل على أن الدِّين غير كامل في وقت من الأوقات.

أن كل نقص ليس بعيب ومن ذلك نقصان صلاة المسافر، ونقصان أيام الحيض ونحوها عن المعهود وما شابه ذلك فليس ذلك بعيب في أجزاء

(١) ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ٢٨٧/١١ بتصرف يسير، وقال بعد ذكر الوجه الثالث: «وهو الذي ذكره القفال وهو المختار»، وينظر للزيادة: صفوة الآثار والمفاهيم للدوسري (٩٨/٨).

الدِّين حتى يلحق بعضها بالآخر.

ويخرج – أيضاً – معنى قوله تعالى في الآية الكريمة على وجهين:

الأول: أن يكون المراد بلغته أقصى الحد – كما تقدم – وأن الدين ما كان ناقصاً ألبتة بل هو دين كامل.

الثاني: أن يكون المراد وفقهم الله – عز وجل – للحج فأتموا به أركان الدِّين، وأنزل الله تعالى الآية على نبيه محمد ﷺ وهم بالموقف عشية عرفة.

وبهذا يندفع الإشكال ويتبين الحال في هذه المسألة، ويعرف الحق، والحمد لله رب العالمين.

المبحث السابع: اللطائف والهدايات المستنبطة من الآية الكريمة

بعد النظر والتأمل والتدبر في هذه الآية الكريمة، يحسن الوقوف عند بعض لطائفها وهداياها القرآنية التي ظهرت، وإلا فالقرآن الكريم كلما تأملت وتدبرت فلن تقف على لطيفة أو هداية فحسب، بل ستجد اللطائف والهدايات – ولا غرو – فهو كلام الله – عز وجل – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وإليك جملة من هذه اللطائف والهدايات:

١ – بيان كمال الدين، وإتمام النعمة، والرضى بدين الإسلام لهذه الأمة، فقد ذكر في هذه الآية الكريمة هذه النعم العظيمة التي تفضل الله – عز وجل – بها على العباد إتماماً للنعم التي تقدم ذكرها قبل هذه الآية الكريمة في صدر السورة الكريمة.

٢ – بيان شرف ذلك اليوم الذي أكمل فيه الدين؛ لأنه لولا ذلك لم يكن لقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ فائدة، لكن فيه الإشارة إلى شرف ذلك اليوم وعظمه عند الله تعالى.

٣ – أن تمسكنا بالدين يجب أن نكون فخورين به لقوله تعالى: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ فأضافه الله – عز وجل – إلينا لنفخر به وندافع عنه، فهو دين عظيم[1].

٤ – ظاهر العطف في الآية الكريمة بين هذه النعم يقتضي أن تمام النعمة منّة أخرى غير إكمال الدين، وهي نعمة النصر، والأخوة، وما

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (سورة المائدة) للشيخ محمد العثيمين (ص٥٠، ٥١) بتصرف يسير.

نالوه من المغانم، ومن جملتها إكمال الدين، فهو عطف عام على خاص. وجوَّزوا أن يكون المراد من النعمة الدين، وإتمامها هو إكمال الدين، فيكون مفاد الجملتين واحداً، والعطف لمجرد المغايرة[1].

٥ – أن الله – عز وجل – تفضل على عباده بإتمام النعمة، لقوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ ويتفرع على ذلك أنه – عز وجل – يثني على نفسه بما أنعم به من أجل أن يتحبب لعباده بنعمه، ولهذا جاء في الحديث: «أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم»[2]. وهذا هو الموافق للفطرة، أن أي إنسان يحسن إليك فإنك سوف تحبه، هذا وهو مخلوق مثلك فكيف بالخالق – عز وجل –.

٦ – أن ما خالف ما جاءت به الشريعة فهو غير مرضي عند الله – عز وجل – ولا مقبول، لقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ وهذا يشمل الدين كله الأصول والفروع التي تكون بزعم الفاعل من الدين، فمثلاً: هل رضي لعباده الكفر؟ الجواب: لا، وهل رضي لعباده أن يبتدعوا في دينه ما ليس منه؟ الجواب: لا، فقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ يعني: بأصوله وفروعه وجملته وجزئه[3].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٦/٦، ١٠٧، بتصرف يسير، وينظر للزيادة: تفسير القرآن العظيم (سورة المائدة) للشيخ محمد العثيمين ٤٣/١، صفوة الآثار والمفاهيم للدوسري ٩٧/٨، ٩٨.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أهل النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٧٨٩) من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الذهبي في السير (٥٨٢/٩): «هذا حديث غريب فرد »، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٧٩٢).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (سورة المائدة) للشيخ محمد العثيمين ٥٢/١، بتصرف يسير.

٧ – قد يدل قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ على أن هذا الدين دين أبدي؛ لأن الشيء المختار المدَّخر لا يكون إلا أنفس ما أُظهر من الأديان، والأنفس لا يبطله شيء إذ ليس بعده غاية، فتكون الآية مشيرة إلى أن نسخ الأحكام قد انتهى[(١)].

٨ – ثبوت الروايات الصحيحة في زمن ومكان نزول الآية الكريمة – كما تقدم في الصحيحين[(٢)] – فقد نزلت هذه الآية الكريمة على النبي ﷺ «وهو قائم بعرفة يوم جمعة»، وفي رواية: «ورسول الله ﷺ واقف بعرفة»، وفي رواية: «عشية عرفة وهو واقف على الجبل».

٩ – بيان حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – على معرفة القرآن الكريم وزمن ومكان نزوله، وهذا دليل علم وفقه وعناية بكتاب الله الكريم، وقد تقدم في الحديث الصحيح قول عمر – رضي الله عنه – في هذا الشأن لما قال له اليهود: آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة». وفي رواية: «إنِّي لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت...».

١٠ – الرد على من زعم أن الدين غير كامل، أو غير صالح فهو دين كامل أتمَّ الله – عز وجل – به النعمة، ورضيه لهذه الأمة كما في هذه الآية الكريمة، وفي آية أخرى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٨/٦.

(٢) تقدم تخريجه في المبحث الثاني (زمن ومكان نزول الآية الكريمة).

مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

١١ – عِظَم الآيات القرآنية فهي في أعلى درجات البلاغة والفصاحة والبيان، ففي جزء هذه الآية الكريمة جمع الله – عز وجل – لهذه الأمة إكمال الدين، وإتمام النعمة، وبيان الدِّين الذي يقبله ويرضاه، فجمع الله – عز وجل – لعباده أمر الدين والدنيا، ولله الحمد والمنَّة.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تقضى الحاجـــات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم الرســالات، وعلـــى آلـــه وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

ففي خاتمة هذا البحث، توصلت إلى جملة من النتائج على النحـــو الآتي:

١ – بيان زمن ومكان نزول الآية الكريمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [ســـورة المائـــدة: ٣]، في الصحيحين وغيرهما – كما تقدم –، ولعل هذا في بيان زمـــن ومكـــان النزول دون سبب النزول.

٢ – بيان حرص الصحابة – رضـــوان الله علـــيهم – ومعرفتـــهم وفهمهم لكتاب الله – عز وجل – ويدل على ذلك قول عمر – رضـــي الله عنه – لما سأله اليهودي عن هذه الآية الكريمة فأجابه – كما تقدم –، وفيه دليل على عظم وشرف الآية الكريمة، وكذلك فضل زمن ومكـــان نزول الآية الكريمة كما لا يخفى.

٣ – أن الآية الكريمة إكمال لما تقدمها من النِّعم والمنن المذكورة في صدر السورة الكريمة.

٤ – ثبوت زمن ومكان نزول الآية الكريمة في يوم جمعة وهو قـــائم ﷺ بعرفة، كما جاء في ألفاظ ورواية الحديث الصحيح وفي الأحاديـــث الصحيحة غِنية عن غيرها من الأحاديث الضعيفة.

٥ – اختلاف المفسرين في المراد بإكمال الدين، وإتمام النعمة مـــن باب اختلاف التنوع وليس من باب اختلاف التضاد، ولا مانع من الجمع

بين الأقوال الواردة في المعنى المراد، والعلم عند الله تعالى.

أسأل الله التوفيق والسداد، والهـدى والرشـاد، والحمـد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- أحكام القرآن، لأبي محمد عبدالمنعم بن عبدالرحيم المعروف بابن الفرس الأندلسي، تحقيق الدكتور: طه علي بوسريح، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، ضبط وتخريج عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- أسباب النزول: لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٣هـ.
- الاستيعاب في بيان الأسباب، لسليم الهلالي، ومحمد آل نصر (موسوعة أسباب النزول)، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، لبهجت عبدالواحد صالح
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- البحر المحيط، لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

- البرهان في تناسب سور القرآن، للإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق الدكتور: سعيد جمعه الفلاح، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
- البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، دار سحنون: تونس، د.ط، د.ت .
- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل

ابن كثير الدمشقي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

- تفسير القرآن الكريم (سورة المائدة) للشيخ محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ.
- التفسير الكبير (تفسير الرازي) لفخر الدين محمد بن عمر البكري الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.
- تفسير عبدالرزاق الصنعاني: لعبدالرزاق بن همّام الصنعاني، تحقيق: د.مصطفى مسلم، مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
- تناسق الدرر في تناسب السور، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دراسة وتحقيق: عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي، عناية: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- خزانة الأدب، عبدالقادر البغدادي، دار الباز، مكة المكرمة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكفول، للسمين الحلبي، دار القلم،

دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- دراسات في علوم القرآن، زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.
- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق الدكتور: حنَّا نصر الحتِّي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
- الذيل على طبقات الحنابلة، لأبي الفرج عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، د.ط، د.ت.
- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
- سنن الترمذي، تصنيف الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
- سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام شهاب الدين أبي الفلاح

عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المشهور (بابن العماد) تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- الشعر والشعراء: لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- صحيح البخاري: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح). لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، لعبدالرحمن الدوسري، دار المغني، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني: جدة، د.ط، د.ت.
- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- فتح القدير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق وتخريج الدكتور: عبدالرحمن عميرة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. لسليمان بن عمر الشهير بالجمل، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمداني، تحقيق الدكتور: محمد النمر، دار الثقافة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

- الكتاب، لأبي البشر عمرو بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار عالم الكتب، بيروت.
- كتاب التسهيل لعلوم التتريل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، ترتيب: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- مباحث في التفسير الموضوعي، تأليف الدكتور: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ.
- محاسن التأويل (تفسير القاسمي) لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، توزيع مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- المحرر الوجيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، إشراف الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن، لأبي الحسن الأخفش الأوسط، تحقيق: هدى قراعة، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبدالجليل شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- معجم مصطلحات علوم القرآن، للدكتور محمد الشايع
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تخريج: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- النكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.